دور الإعـلام
في نشر ثقافة الحوار بين الأديان

المدرس الدكتور
بشرى جميل إسماعيل
جامعة بغداد ـ كلية الإعلام

دور الإعلام في نشر ثقافة الحوار بين الأديان

المدرس الدكتور
بشرى جميل إسماعيل
جامعة بغداد ـ كلية الإعلام

المقدمة:ـ

تختلف الآراء حول الحدود بين احترام الآخر وبين حرية التعبير، فـ"القرية الصغيرة" فتحت المجال لصراع الحضارات، كما فتحت الفرصة للحوار بينها. وهو ما أكدته المحللة السياسية صوفيا سيلاغيي من بودابست: "إننا كلنا جيران اليوم بحكم الأمر الواقع، سواء أحببنا أم لا. وهذا يزيد من تحديات العصر للتوصل إلى إقامة توازن بين الحق بالحرية الفردية والحق بالحرية الجماعية". فلم تكن الحرية في رأيها أبداً فوضى، لكنها مرتبطة دائماً بالمسؤولية[1].

لا شك أن العبء الملقى على الفئة المثقفة، ولاسيما القائمين على أمر الإعلام، كبير اذ إنه يتمثل في تحسين الصورة الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين لدى غير المسلمين، لاسيما في ظل المتغيرات الدولية والمحلية، وهذا الأمر يتطلب منا الدقة المتناهية والإخلاص في خدمة الإعلام، لأنه هو الطريق الأمثل لإعلام الجميع بحقائق هذا الدين التي قام عليها والتي جعلته صالحا لكل زمان ومكان عن طريق الكلمة الطيبة التي تصنع إعلاما ناجحا في حياة الناس وتشغل جانب لا يستهان به في مساحة الزمن اليومي للأفراد.

وتهدف دعوة حوار الحضارات لتحقيق فهم متبادل أعمق فيما بين الشعوب المنتمية لحضارات مختلفة عبر زيادة معرفة كل شعب بالنظم القيمية والمثل العليا وطرق التفكير والحياة لشعوب أخرى. ويتطلب من الأطراف المشاركة فيه الالتزام مسبقاً بأنها على قدم المساواة، وأن تستمع باهتمام وقدرة

استيعابية مرتفعة لوجهات نظر الآخرين.

إلا أن إمكانية لعب هذا الدور لا يتحقق بشكل آلي، اذ أن وسائل الإعلام تؤدى عملها في ضوء ظروف وقيود ومحددات، مثل النواحى التمويلية والحاجة لتأمينها، أحياناً بشروط معينة وفي ظل إملاءات بتبنى توجهات بعينها أو المطالبة بتقديم تنازلات فكرية أو سياسية أو ثقافية أو غير ذلك. وهناك أيضاً عامل المنافسة القوية والشديدة التي لا تركن بالضرورة إلى اعتبارات موضوعية أو تلتزم بالحقيقة والدور التثقيفي، كما أن هناك عامل التسويق التجاري، وأما العامل الأخير فهو وجود تحيزات أيديولوجية لدى أصحاب وسيلة الإعلام ذاتها. وهذه العوامل كثيراً ما تؤدي إلى تغطية ضيقة الأفق أو أحادية الجانب أو نمطية أو متحيزة لأحداث تجرى في دول أخرى لها ثقافات مختلفة.

ويتطلب أن يتجه دور وسائل الإعلام لمنحى إيجابي بشأن تسهيل حوار الحضارات أن يصبح العاملون في هذا القطاع، لاسيما المعنيون بالجانب الحرفي في تغطية وصناعة وإعداد وتقديم المكون الخبري أكثر وعياً بالدور الحيوي لوسائل الإعلام في تعريف المواطن العادي بحضارات وثقافات وأنماط حياة "الآخر" المختلف، سواء داخل حدود الدولة نفسها أو خارجها. وعلى العاملين في قطاع الإعلام إجراء مراجعة مستمرة لمدى تضمن تغطيتهم الخبرية والتحليلية لعنصري الموضوعية والتسامح في اختيار الموضوع الذي سيتم تغطيته وزاوية وأسلوب التغطية بل والصياغة والكلمات التى سيتم استخدامها. لكن الواقع يبقى ليؤكد بالطبع أن الحوار بين أتباع الحضارات المختلفة عن طريق الاتصال المباشر وجهاً لوجه يمثل أفضل وسيلة لتصحيح الآراء النمطية المقولبة أو المشوهة.

إن تاريخ تغطية أحداث العالم الثالث في وسائل الإعلام الغربية والعكس،

يوضحان بما لا يدع مجالاً للشك أن إعطاء اهتمام زائد للفوارق بين الثقافات، بدلاً من التركيز على ما هو مشترك بينها. فهذا التوجه يميل فعلياً إلى تجاهل أوجه التشابه فيما بين الغرب والعالم الثالث. ومن المهم الإشارة إلى أن التفسير النهائي لأى نوع من الأخبار والمعلومات المنقولة عبر وسائل الإعلام يتم بواسطة الفرد المتلقي، وبالتالي يجب إيلاء الاهتمام الكافي لتثقيف وإعداد المواطن بحيث يستطيع تقييم ما يتلقاه بشكل ملائم، وبالتالي، فإن العملية التعليمية يجب أن تخضع لمراجعة دقيقة حتى يتم التأكد من أنها تهدف بالفعل إلى تمكين الأفراد من امتلاك المهارات اللازمة للتفكير بشكل بناء وإيجابي ونقدي لأنفسهم.

أهمية البحث:ـ

ترجع أهمية هذا البحث في كون حوار الحضارات والاديان هو الضمان الأكبر في تحقيق السلام العالمي الذي تنشده الدول والشعوب، بغض النظر عن أعراقهم ومعتقداتهم. كما ترجع أهميته إلى كون الحوار بين الحضارات مَعلم مُغيّب من معالم الإسلام.

مشكلة البحث:ـ

يعاني العالم الإسلامي في عصر تسوده العولمة، من صور نمطية وتشويه وتضليل وزادت تعقيداً بعد احداث ١١ سبتمبر وانتشار ظاهرة الارهاب في العالم، ولهذا تتمثل مشكلة البحث بالتساؤلات الآتية:

١- ما هو مفهوم الحوار بين الاديان والحضارات؟ وما هي أسس وأهداف وشروط هذا الحوار؟.

٢- هل نمتلك مشروعاً جامعاً لممارسة الحوار مع الحضارات الأخرى؟.

٣- ماذا فعل المسلمون لمعالجة المشكلة والتصدي لظاهرة "الاسلاموفوبيا"؟

٤- ماذا قدم الإعلام العربي للآخر؟

٥- ماهي نية واهداف الطرفين، هل هي التعايش والتفاهم والحوار، أم المواجهة والصدام؟

أهداف البحث:ـ

١- التعرف على واقع الحوار بين الحضارات في الوقت الراهن.

٢- توضيح دور الإعلام في تعزيز ثقافة الحوار في الإسلام، ودور الإسلام في تعزيز الحوار الحضاري.

مسلمات البحث:ـ

١- التعدد والتنوع الثقافي سنة كونية، فالحياة أساسها التعدد والتنوع.

٢- الإنسان هو محور التنمية والتطور وهو صانع الحضارات.

٣- أهمية دور الإسلام في تعزيز الحوار الحضاري.

٤- اهمية دور الإعلام في نشر وتثقيف الجمهور بثقافة السلام.

مفاهيم البحث:ـ

١- ثقافة السلام: "مجموعة من القيم والمواقف والتقاليد والعادات وأنماط السلوك وأساليب الحياة بحيث تجسد في مجموعها تعبيراً عن، وطموحاً إلى: احترام الحياة، والبشر وحقوق البشر، مع رفض العنف بأشكاله، والاعتراف بالحقوق المتساوية للرجل والمرأة، والاعتراف بحق كل فرد في حرية التعبير، والإعراب عن الرأي والحصول على المعلومات، والتمسك بمبادئ الديموقراطية، والحرية، والعدالة، والتنمية للجميع،

والتسامح، والتضامن، والتعددية، وقبول الاختلافات بين الفئات العرقية والدينية والثقافية وغيرها من الفئات وبين الأفراد"[٢].

٢- **الحوار:** "اتخاذ الأدوار في الحديث، وهي الوسائل التي عن طريقها يقوم الأشخاص بإدارة عملية التبادل الروتيني للأدوار بالحديث، وفي الوقت نفسه تقليل الفجوات والتقاطعات في الإسهامات الفردية لكل منهم في الحديث"[٣].

٣- **الدور:** "هي الأنماط الثقافية، أو برامج العمل، أو أطر السلوك التي يعرف الفرد عن طريقها صورته في أعين الآخرين، والكيفية التي يجب أن يتعامل بها معهم، وايضاً الافكار المشتركة والموروثة والتي ترشد وتوجه السلوك ولكنها لاتحتمه"[٤].

٤- **حوار الحضارات:** "هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار والتوجهات المخالفة والتعامل المتحضر مع الآراء الثقافية والفنية والدينية جميعها، لإشاعة التعايش السلمي وتجنب نشوب أزمات حضارية".

٥- **حوار الاديان:** "مجموع اللقاءات التواصلية بين اهل الديانات السماوية لمناقشة القضايا الراهنة والملحة، ويشير مصطلح الحوار إلى درجة من التفاعل والتثاقف والتعاطي الإيجابي بين الحضارات التي تعتني به، وهو فعل ثقافي رفيع يؤمن بالحق في الاختلاف إن لم يكن واجب الاختلاف، ويكرس التعددية، ويؤمن بالمساواة. وعليه فإن الحوار لا يدعو المغاير أو المختلف إلى مغادرة موقعه الثقافي أو السياسي، وإنما لاكتشاف المساحة المشتركة وبلورتها، والانطلاق منها مجدداً. على أن الباحثين يربطون أحيانا الحوار بالحضارات ويلحقونه حينا آخر

بالثقافات أسوة بالتصنيف الكلاسيكي، الذي يجعل من الحضارة تجسيداً وبلورة للثقافة"[٥].

صورة الإسلام في الغرب عبر العصور:ـ

إن صورة الإسلام في الغرب اليوم ليست على ما يرام، ولابد من السعي إلى تحسينها بأسلوب القرن الحادي والعشرين، وإن الصورة في علوم الإعلام تعني السمعة التي يحظى بها طرف ما لدى طرف آخر والانطباع الذي يحمله الإنسان عن شخص أو مجموعة أو الشعب. ومن الطبيعي أن تختلف الصورة المأمولة عن الصورة الحاصلة. والصورة المأمولة هي الصورة المثالية التي يتمنى صاحبها أن يحظى بها لدى الطرف المستهدف، وهي الصورة التي تتطابق عامة مع ميولاته وأهدافه. أما الصورة الحاصلة بالفعل، فهي الصورة التي يحملها عنه فعلاً ذلك الطرف، وغالباً ما تكون ذاتية، لا تحددها العوامل الموضوعية ولا تتطابق بالضرورة مع الحقيقة المطلقة، فالعاطفة والقيم والمشاعر الشخصية، وطريقة الحصول على المعلومات، كلها عوامل تتضافر لتؤثر في هذه الصورة. فإذا وظفنا التصور لتجسيم صورة الإسلام في الغرب، وجدنا تفاوتاً كبيراً بين الصورتين[٦].

وهذا ما يدعونا اليوم إلى الاعتماد على ما توفر لنا من وسائل إعلامية حتى نصلح ما بأنفسنا في الداخل ونواجه في الخارج ما تتعمد إليه أجهزة الإعلام المناهضة للإسلام من تشويه لسمعتنا وتشكيك في قيمنا الثابتة. فهذه الاعتبارات تستحثنا نحن المسلمين على تحليل الواقع المتردي لصورة المسلمين، لتساعدنا على اكتشاف الحلول الملائمة في زمن العولمة واسترجاع ثقة المسلم وثقة الآخرين به. ويتمثل دور وسائل الإعلام ذات التوجه الإسلامي في إقناع باقي سكان المعمورة بحقيقة الدين الإسلامي دون الطعن في الأديان الأخرى

أو المس بشعائرها. ووسائل الاتصال الحديثة بأشكالها المختلفة قادرة على ذلك، وهي تتمثل اليوم في صنفين: جماهيرية عامة وفردية.

إن القيادات الغربية في أغلب الأحيان، تشكل فكرتها عن الإسلام من خلال المرجعيات الإستشراقية المعادية للإسلام. ومن أشهر هذه المرجعيات: المستشرق ديلاس أوليري، والأب لامانس، واللوبي الصهيوني المحرك الفعلي للنظام الأمريكي. إن هؤلاء الباحثين المستشرقين يعطون لصناع القرار الغربي صورة مضللة عن الإسلام والعروبة، إنهم "يحرفون آيات القرآن، ويحذفون من كتب المسلمين، ما لا يروق لهم، ويخلطون الآيات بأبيات الشعر، ويجعلون الأحاديث النبوية من كلام بعضهم، وما تحرجوا قط من اقتطاع جملة واحدة من نص طويل ليبنوا عليه ما يتخيلونه". ومن ثم يخرجون بأبحاث تقدم لصناع القرار الغربي، كنتائج علمية بحتة. لقد ألف لامانس " تاريخاً مختصراً للشام لم يذكر فيه للإسلام ولا للعرب حسنة، مدة ثلاثة عشر قرناً ونيف، ومما أورد فيه من الأفكار: "أن العربي أثبت خلال الفتوحات أنه جبان ضعيف الجندية لا يفكر في غير المغانم... وأن الحروب الصليبية تمثل بسالة الأوربيين"(٧).

ونؤكد دور المستشرقين في تشكيل فكر صناع القرار نحو الإسلام والمسلمين والعرب، في المواجهة التي حدثت بين عصمت عبد المجيد، الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية ليعلق على مداخلة نائبة فرنسية في البرلمان الأوربي تدعى "فرنسواز جروستيت"، أمام جماهير غربية...، في المؤتمر الدولي للتعاون الأورو ـ متوسطي، في فرنسا، عندما "اتهمت الإسلام بمعاداة المرأة، وتكريس دونيتها، بالمقارنة بالرجل..!! وفي لغة فرنسية محكمة أخذ الدكتور عصمت يفند مزاعم النائبة الأوربية الواحدة تلو الأخرى، بحجج منطقية، فأبدى دهشته من إصرار الغرب وأوربا على معاداة الإسلام، وعدّه العدو رقم واحد – كما يقول شابليه: إن "الدين الإسلامي هو العقبة القائمة

في طريق التبشير بالنصرانية، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا"، فقال الدكتور عصمت رداً على النائبة: "إن الإسلام الذي تتحدثين عنه يا سيدتي، ليس هو إسلامنا الصحيح، وإنما هو إسلامكم أنتم الذي صنعتموه لأنفسكم من محض افتراءات وأكاذيب لا علاقة لها بواقع الدين الإسلامي، ولا بحياة المسلمين. فديننا الحنيف هو دين التسامح والتراحم والرأفة، ولكن المؤسف أنكم عندما تتحدثون عنه تتناسون ذلك، ولا ترونه إلا من منظور الأصولية والتطرف، وهو ما يجعلني أن أتسأل: لماذا لم نسمع أحدكم معشر الباحثين الأوربيين يتحدث عن الأصولية والتطرف عند الصرب الذين فتكوا بمسلمي البوسنة واستباحوا لأنفسهم من دمائهم وعرضهم ما لا يقره عقل أو دين أو منطق سوي"؟! أم أن الأصولية والتطرف والتعصب هي في شريعتكم المغلوطة، ليست إلا من نصيب الإسلام والمسلمين فقط؟!(٨).

وبهذا الفهم الاستعلائي والمغرض للإسلام يبدو الحوار مستحيلا، مثلما هو غض الطرف عما يسميه فوكوياما بـ"الفاشية الإسلامية" هو الآخر مستحيلا. وفي هذا السياق بالضبط، تجيء التدخلات العسكرية الأمريكية. وفرض مشاريع الإصلاح من نوع مبادرة الشرق الأوسط الكبير، وهي مبادرة تستهدف بالدرجة الأساس إزاحة العقيدة الإسلامية عن كل طابع للحياة الاجتماعية، وإيجاد ما يعرف حالياً في أوساط المثقفين بالدين الليبرالي*.

ومن هنا ينشأ ذلك الصراع الحضاري، وتبعا لذلك عقد سيل من اللقاءات والمؤتمرات المطولة التي نظمتها قوى دولية ومراكز أبحاث عدة، حكومية وغير حكومية، استظلت جميعها تحت مقولة "حوار الحضارات".

الإسلام والحوار بين الثقافات:ـ

إنّ الإسلام هو دين الحوار والاعتراف بالآخر، وهو شريعة تطوير القواسم

المشتركة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وإيجاد السّبل الكفيلة بتحقيق ذلك، بما يُساعد على العيش بسلام وأمنٍ. لهذا، دعا إلى الحوار والدّعوة بالتي هي أحسن، وسلوك الأساليب الحسنة في مخاطبة الآخر، قال تعالى: "ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي...".

من هنا يُعلن القرآن عن حقيقة الحوار، وفي ما يجب أن يكون، وكيف يجب أنْ يدور:

١- أنْ يحترم الحوار السّيادة والخصوصيّات الثّقافيّة، والابتعاد عن التّسلّط وإلغاء الآخر.

٢- أن يتبنّى قاعدة "المعرفة والتّعارف والاعتراف"، وينطلق منها في سبيل التّقارب.

مثلا، إنّ التّعريف بالحضارات والثّقافات التي قلّ الاهتمام بها، أو هُمّشت لأسباب، يُسهم في دفع عمليّة الحوار إلى القطب الإيجابيّ. أنّ "مشكلة التّفاهم الإنسانيّ هي مشكلة العلاقات بين الثّقافات. ومن هذه العلاقات لا بدّ من أنْ ينشأ مجتمعٌ عالميٌّ جديدٌ يقوم على الفهم والاحترام المتبادل، وهذا المجتمع ينبغي أنْ يتّخذ شكل مذهبٍ إنسانيٍّ جديدٍ، والذي يُمكن فيه للعالميّة أنْ تتحقّق من خلال الاعتراف بالقِيم المشتركة بين الحضارات"[٩].

ويستدعي الحوار الحضاري من المتحاورين انفتاحاً على العالم، والتفاعل معه دون خضوع أو تبعية له. ولكن المشكلة التي تواجه شعوب عالم الجنوب والعرب منهم، التفاوت الكبير في الإمكانات المادية الخاصة بالاتصالات، فيسلتزم الحوار قدرا من التقدم العلمي لأي شعب ينشد الحوار أو الانفتاح على ثقافات الشعوب الأخرى ولاسيما المتقدمة منها. وفي ضوء ما تقدم فأن اشتراطات الحوار الحضاري ما زالت غير متوفرة أو مختلة في أقل تقدير.

فالغرب الذي يملك كل ممكنات القوة المادية "العسكرية والاقتصادية والإعلامية والعلمية والتقنية"، يشعر أنه المؤهل لأن يتسيد العالم في كل المضامين التي طرحتها العولمة وبكل تنويعاتها المؤثرة، كما أنه الطرف المؤهل لأن يملي إرادته على الطرف الأضعف.

هذا الواقع المتناقض بين الغرب والعرب والمسلمين بعامة، حال دون إجراء حوار ايجابي بين الطرفين، كما أن فريقاً كبيراً من الغربيين ومنهم قادة دول أمثال بوش - بلير، لم يقتنعوا بأهمية الحوار الحضاري بالرغم من ظهور دعوات عدة للحوار بين الأديان. وبدلاً من الحوار اختار الغربيون مشروعاً ثقافياً بأدوات تقنية يهدف إلى تدمير الخصائص القومية للعرب، وأخطر ما في المشروع هو ترويج "ثقافة السلام"، وتقتضي هذه الثقافة قبول أفكار الغربيين في الإصلاح ومقاومة الإرهاب وكذلك قبول فكرة "الشرق الأوسط الكبير" أو "الجديد"، لمحو معالم أفكار الأمة والقومية والوطن الواحد لدى الأمة العربية. على الرغم من ان "الحوار بين الحضارات" يعني:

١- تلاقح الثقافات الإنسانية بين هذه الحضارات والاديان.

٢- تفاعل سياسي متبادل بين هذه الحضارات والاديان.

٣- امتزاج اجتماعي منضبط بين هذه الحضارات والاديان.

٤- تبادل تقني وتكنولوجي بين هذه الحضارات والاديان.

التأثير الحالي لوسائل الإعلام الغربية على صورة الإسلام:ـ

إن الانطباعات التي سجلت منذ زمن بعيد تطورت بتأثير أجهزة الإعلام والقنوات الفضائية والشبكات الإلكترونية. إلا أن ما حدث قبيل ضرب ناطحتي السحاب في نيويورك وبعدها في موسكو ومدريد ولندن، يؤكد أن

الصورة الإسلامية هي في حاجة ملحة إلى المعالجة والتحسين. فقد نقلت شبكة الإنترنيت ما نشرت بعض الصحف الغربية، ومن ذلك صحيفة "الفيغارو" الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠١م، وفي مقال بإمضاء ابن وراق وغي هنبال، جاء فيه: "أن الإسلام ليس دين اعتدال وأن أغلبية المسلمين الذين يبلغ عددهم مليار شخص ليسوا مواطنين مسالمين".

ويتواصل حتى اليوم الاستفزاز بشكل مخالف لمضمون الفصل الثامن عشر للإعلان الدولي لحقوق الإنسان، الذي يؤكد على ضرورة احترام العقيدة الدينية لكل إنسان. وما هذا التفكير إلا نموذج لكثير مما كتب حول صراع الحضارات، إن المنطلق المركزي لأطروحة صامؤيل هانتنغتون "صدام الحضارات" ٣٩٩١م، هو تبنيها لفكرة عدّ الحضارة العامل الجديد الذي سيتحكم في صيرورة العلاقات الدولية، وبالتالي فالانقسامات الكبرى في العالم ستكون انقسامات ثقافية تتصادم في إطارها مجموعة من الكتل الحضارية المتنافسة. وسيكون هناك طور جديد من السياسة العالمية تكون فيه الثقافة هي الباعث الرئيس للانقسامات الكبرى بين الشعوب. ويشكل الدين القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم والعلامة الفارقة للتمييز بين الحضارات، فيمكن للشخص إن يكون نصف عربي ونصف فرنسي، ولكن من الصعب إن يكون نصف مسلم ونصف كاثوليكي. وتهتم الأطروحة بشكل محوري بالعالم الإسلامي كمجال حضاري استراتيجي له موقع مركزي في العلاقات الدولية المستقبلية، وحاولت تسويق صورة سلبية عن الإسلام. واصدر هانتنغون مجموعة من الإحكام القيمية المتسرعة حول الإسلام وهي مخصصة للاستهلاك الإعلامي وتعبر عن فهم سطحي للإسلام. وترويج فكرة خطيرة مفادها إن للإسلام حدودا دموية وهو مسؤول عن الصدامات والحروب التي يعرفها العالم[١٠].

أن التأثير الإعلامي يكون كذلك بالتعميم والإخفاء لما يتعين نشره وإطلاع الرأي العام عليه، بحيث لا يبقى في ذهن المواطن سوى ما تقدمه له وسائل الإعلام أو ما توحي به إليه. وها هو البابا الجديد بنيديكت السادس عشر حيث أشار فيها - على لسان إمبراطور بيزنطي- إلى أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء بأشياء كلها شريرة، وأن انتشار الدين بالسيف مناقض لطبيعة الله، وهو ما وجد ردودا احتجاجية عنيفة من المسلمين في أنحاء العالم. يأتي ليثير الموضوع من جديد بالخلط بين الإسلام والإرهاب والإعلان أن الدين الإسلامي يرفض المنطق والعقل[١١].

لكن الذي يخفف من وطأة هذه الإهانات المتكررة هو التطور الواضح للقضاء الغربي وقبول المحاكم الأوروبية مقاضاة المحرضين على الكراهية الدينية. كما كان لموقف الأمريكيين المسلمين تأثير في الحد من الانفعال الأمريكي بتحركاتهم الإعلامية، ومن ذلك التشكيك في المصدر الإسلامي للهجمات التي استهدفت الولايات المتحدة وتوجيه التهمة من خلال الصحافة الأمريكية إلى وكالة الاستخبارات الإسرائيلية، وغيرهما من حركات الإرهابيين ذات الانتماءات المختلفة.

إلا أن المنطق يتطلب منا الموضوعية والصراحة، ذلك أن المواقف الدينية المشار إليها لا تخفف من مسؤولية من انخرط في صفوف المغالين الذين أضروا بالإسلام. نعم لقد شوه بعض المسلمين المتطرفين الصورة الإسلامية إلى أبعد حد، إذ قاوموا مبادرات التفتح والاجتهاد وألحقوا الأذى برجال الفكر والقلم الذين خالفوهم الرأي. فلابد من الاعتراف بأن كثيراً مما نال صورتنا الخارجية من تشويه، يعود إلى حقائق داخلية لا سبيل إلى نكرانها. وعليه فمن الأجدر توجيه ما يلزم بذله من جهد إلى تحسين الملامح السلبية لهذه الصورة والاعتماد على السياسات الواضحة التي ترفض ازدواجية الخطاب وتواجه الارهاب.

ونحن نشعر دائماً بالأسى لعجز الذكاء العربي الإسلامي عن اقتحام حواجز هذه الكراهية والتعريف بالجوانب الإيجابية والإنجازات الثقافية للأمة الإسلامية لدى شعوب الغرب. كما أن التحركات على الساحة الدولية لم تكن فعالة بالقدر الكافي في تصحيح الأوضاع. ولا يكون هذا التعايش ممكناً إلاّ بالسعي إلى تطوير الصورة الحاصلة، وتحسينها حتى تقترب أكثر من الهدف المطلوب، بمجهود متواصل للتأثير في الرأي العام من خلال أداء مسؤول يحظى بالقبول على أساس تفاعلي بين المرسل والمتلقي، بحيث يهدف كل طرف إلى إقناع الطرف الآخر بصواب مواقفه وعدالة قضاياه. ويتسم هذا النشاط بالانتظام والاستمرارية، ولا يتوقف عند الحملة الظرفية لمواجهة أزمة عارضة أو استرجاع ثقة نازلة. والجماهير هي الطرف المستهدف، وهي جماعة واعية مكونة من أفراد لهم قضايا ومشاغل مشتركة. وهذا المسعى لن يتحقق إلا بتوظيف المناهج العلمية وباعتماد تقنيات الاتصال الحديثة الملائمة، ولابد من التمييز في هذا الصدد بين المنهجية العلمية الحديثة، وبين التكنولوجيا والوسائل العصرية التي يتعين اعتمادها لتغيير هذا الواقع المؤسف، فنحن أمام وضع عالمي جديد ولابد أن يكون للإسلام والمسلمين مكان في هذا المجتمع المعولم.

مقومات الخطاب الإسلامي الإعلامي:ـ

يجب أنّ يعمل الإعلام الاسلامي ضمن بيئة خالية من الرّقابة ومن تأثير قوى الضّغط في المجتمع، ويتوجب على وسائل الاتصال إعادة صياغة أسسٍ جديدة لقوانينها والتعايش الاجتماعي، وذلك لتحفيز الجمهور على التواصل والإبداع فيما بينهم بوسائل أفضل. وبعبارة السيد بول كيوفينسكي إثناء انعقاد "القمة العالمية للإبداع"*: "يجب إن تعمل وسائل الاتصال بلا قيود ذات المضمون الجدلي والخلافي، وتتبنى الإبداع بطريقة القفز فوق حواجز النجمة

السداسية، والصليب، والهلال، إذ يشكل التفاهم ما بين الأديان مدخلاً لوضع أسس شراكاتٍ إبداعية وقيمة تنعكس إيجاباً على المجتمع. وأن الاختلاف الثقافي هو صنيعة القوى المسيطرة على العالم، والتي تعتمد على سياسة "فرق تسد". فتحدي وسائل الاتصال الأفكار ومقارعتها وبضرورة الإبداع بغية تخطي الحواجز بين الناس وبقبول الآخر واحترام معتقداته يؤدي إلى أطرٍ جديدة للتعامل الإنساني والتعاون بين الثقافات"[١٢].

لقد بدأت ظاهرة الفضائيات المتخصصة بالشأن الديني في نهاية التسعينيّات من القرن الماضي ١٩٩٨م، وكانت قناة "إقرأ" البادئة وهدفت حسب تصريح اصحابها إلى أن "تكون عالمية التوجه، ووسطية المنهج، وشمولية الأهداف". وتطورت الفكرة وأسست فضائيات مرتبطة بالتيارات الأيديولوجية المختلفة داخل التيار الأصولي، وظهرت قنوات اخرى مثل قناة المجد والفجر والرسالة والمنار وغيرها. ولتجنب التوترات، تشير معظم القنوات إلى أنهّا تبتعد عن المواضيع المثيرة للجدل التي تبرز الفوارق بين المسيحية والإسلام ومذاهب الإسلام نفسه. إلا أنّ التعمق في مضامينها يظهر انقسامات عميقة، ومنشغلة من ناحية ثانية بالفتاوي على الهواء. والقنوات بثت بدافع الخوف من الذوبان، والحرص الشديد للحفاظ على الخصوصية، ومن موقع الخائف، راحت كلّ محطة تتوجه إلى ناسها، وتكلّم نفسها وتخشى من الكلام مع الآخرين. أي بمعناه دفع الإسلام نحو مزيد من الانكفاء، وتضييق مساحته بشكل لايقبل التنوع ولا الاختلاف، ولا مشاركة الطوائف في ما بينها على إغناء الفكر الإسلامي، إنه إسلام منكفىء وخائف من التنوع، يفسر تجاهل الآخر على إنه اعتدال، غير متقبل للاختلاف، من دون أن يدري أن هناك من يتلذّذ في رؤيته على هذه الحال. ولهذا شهدت هذه القنوات نمواً وليس تنمية[١٣].

توظيف الإعلام الاجتماعي المؤثر في حوار الحضارات:ـ

يستدعي الإعلام المؤثر الاجتهاد وسعة الخيال والمهارة، فإذا قررنا توظيفه لخدمة الإسلام وللمساعدة على مواصلة نشر الرسالة المحمدية، فإنه يتعين علينا الإلمام بكل قواعده والتعرف على المناهج التي اعتمدتها أطراف أخرى مماثلة لتوظيفه على الوجه الأمثل. فالسياسة والعقيدة والثقافة ترتبط كلها في مجتمعاتنا المعاصرة مباشرة بالبعد الإعلامي.

ويمكن تحديد الإعلام الاجتماعي "كنسق فكري وعملي يبحث عن الرقي بالإنسان "فرداً أو مجموعة" كفاعل أو كموضوع للاتصال، ويهدف إلى وضع الأفراد والمجموعات الاجتماعية في علاقات بعضهم مع البعض الآخر، ومن منظور الاستقلالية والمسؤولية. ويبدو هو الفرصة للثقافات المختلفة ليقدم مكوناتهم المختلفة، ليتعرفوا بعضهم على بعض وليتحاوروا في ما بينهم، في جوّ من التسامح والاحترام المتبادل"(١٤).

ويمكن أن تؤول هذه الآلية للاعلام الاجتماعي الفعلي الى مستويات عدّة(١٥):

١- البحث عن التفاعلية الحقيقية، سواء كانت عن قرب أو عن طريق "الميديا".

٢- نظرة مختلفة أو بديلة للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية.

٣- أنماط معالجة اعلامية تخرج عن الأمور المطروقة.

٤- يُعدّ متلقي الرسالة شريكاً جديراً باللاستقلالية، وليس متلقياً سلبياً.

٥- لكلّ محاور الخيار بأن يجيب بطريقة لا تكون معدة سلفاً من قبل المرسل.

قد تكون هذه المعايير ذات صفة انتقائية، وهي تعود الى مثاليات نطمح الوصول اليها في الاعلام العربي أكثر مما تعود الى وقائع يومية معيشة، لكن هذا الشكل من الاتّصال الذي يريد أن يكون بديلاً عليه أن يرتكز على مجموعة قيم أخلاقية. ويبدو أن للإعلام الاجتماعي مهمة تتمثل في وضع الأفراد المهمّشين والمجموعات في علاقة اتصال في ما بينهم. ويمثل ايضاً رهاناً استراتيجياً، فهو لا ينفصل عن التنشيط الاجتماعي، المحلي والبلدي والعالمي، إذ إنه في احترام الحرية الشخصية لِكُلّ فرد، فهو لذلك يستهدف تفعيل تجارب الحوار مابين الثقافات والاثنيات التي تتعايش وهي تتصادم وتتجاهل بعضها البعض، ويرتدي الحوار أبعاداً فعلية، كمثل اللقاءات الودّية والأعمال المشتركة(١٦).

وكي يتمكن الاتصال الاجتماعي من تحقيق أهدافه عليه التحقق من عنصرين: "التلقي للرسالة وفعاليتها، لأنّ الاتّصال يهدف الى تغيير امّا الاستعدادات والميول الفكرية، واما الى تغيير السلوكيات، أي الانتقال الى الفعل، وذلك بحثّ المتلقي، امّا على الانضمام الى السجل المعرفي، واما على الانضمام الى السجل العاطفي، لأن الرسالة في الواقع، حتّى وان كانت تحمل اعلاماً تافهاً، فهي ليست محايدة، بل ان الجانب المعرفي والجانب العاطفي يشكلان جزءاً أساساً من كلّ اتّصال ذي هدف، إذ أنّ النتيجة المراد الوصول اليها، بوعي أو بلا وعي، تعود الى مجالي المعرفة والعاطفة، وفي نسب مختلفة من رسالة الى أخرى"(١٧).

تدل المؤشرات على أن العمل الإعلامي الهادف إلى التأثير في الرأي العام سيزداد أهمية على مر الأيام بحيث يكون هو المستفيد الأول من قنوات الاتصال الحديثة والشبكات التفاعلية العريضة التي ستجسم مجتمع الإعلام والاتصال والمعلومات. وسيتزايد تأثير القوة الإعلامية في العلاقات الدولية

بحكم الاختراعات الحديثة والابتكارات التكنولوجية المتطورة التي تمكن من بث المعلومات وإبلاغها بصورة مباشرة وسريعة إلى مختلف المناطق والقارات. وهذا ما دفع بالمسؤولين في المجتمعات المصنعة إلى اعتماد مختلف وسائل الاتصال الحديثة لتحقيق الأهداف الاستراتيجية من خلال الرسائل الإعلامية والعلاقات العامة أو بطريقة الإيحاء الخفي. ومن المؤسف أن هذا الاقتناع لم يرسخ بعد بنفس الدرجة في المجتمعات النامية، وأن الكثيرين من المسؤولين في البلدان الإسلامية ما زالوا على غير اقتناع بجدوى الإعلام الاجتماعي وبفائدة توظيفه، رغم توفر الحجة القاطعة والنتائج الملموسة.

وعبارة الاتصال الاجتماعي كثيرة التداول في هذا العصر، ويختلف مفهومها ومدلولها باختلاف مستعمليها ومجالات استخدامها. وفي الحالات كلها فإن الاتصال الاجتماعي يعتمد على أسس علمية وعلى منهجية مدققة تتمثل في:

ـ الخطة: لتحديد الهدف والوسائل.

ـ الشعار: لاختزال الفكرة المراد إبلاغها وتصور الحملة الاتصالية.

ـ الرمز: لتجسيم الرسالة بالصورة الإيحائية أو الرسم المعبر.

وتتولى أطراف عدة عمل الاتصال الاجتماعي، ومنها الهيئات العامة والمؤسسات الخاصة والمنظمات غير الحكومية. وقد وظفت تقنيات الاتصال الحديثة في مجالات عدة فسجلت نتائج فائقة. ويشمل الاتصال الاجتماعي ثلاثة أصناف:

ـ الاتصال الهادف لتغيير السلوك.

ـ الاتصال الإخباري حول الحقوق والواجبات.

ـ الاتصال لتحسين الصورة أو ترويج المنتجات والخدمات.

ولقد خلّف الغزو الفكري أثراً كبيراً في عقول الشباب الذي يمثل القوة المؤثرة في كل مجتمع، فحاولت بعض الحركات الدينية التصدي لهذا الغزو، إلا أنها لم تكن واعية بالتحديات الحقيقية التي يجب رفعها، ولم تكن لها خطط مستقبلية للمواجهة فتشبثت في الأغلب بحلول الماضي البعيد مفصولة عن سياقها "كالخلافة نظاماً للحكم، والمرأة للتناسل والمتعة، والحدود الفقهية شريعة لازمنية، إلخ..."، وتمسكت بالطقوس الشكلية والبدائية أحياناً، وهي تحسب أنها تقاوم مؤامرات الغرب على الإسلام والمسلمين. فقضية مثل "تحديد الشهور العربية" لقرب حلول عام هجري جديد، ويرتبط هذا التحديد "بعبادات مليار وثلاثمائة ألف مسلم في الصيام والحج والأعياد، وأيضاً بلغ حجم الخلاف بين المسلمين في القطر الواحد إتباع مواقيت مختلفة، ويعكس جانباً من المآسي التي وصل العرب إليها".

ويتجه الإعلام دائماً إلى القضايا السياسية، ويرى أنها أهم من القضايا الأخرى، لاسيما ماله علاقة بالتغطيات الإخبارية، مع العلم أن هذه القضايا آنية، تتجدد موضوعاتها، لأن الأحداث متلاحقة في عالم تتصارع فيه مصالح عدة، لكن تأخذ القضايا القيمية حيزاً أقل، علماً أنها موضوعات إنسانية دائمة تدعو إلى فكر وإبداع، وتصقل رؤية إنسانية ذات بعد ثقافي، وتنشغل بتأسيس مفاهيم وقيم إنسانية تكون مدعاة للتلاؤم الاجتماعي، والتواصل بين الشعوب. وتعدّ هذه القضايا إستراتيجية، بعيدة المدى، لا يتم جني فوائدها مباشرة. وعلى الرغم من التمايز الواضح بين ما درج الإعلام على تناوله وما تسعى الفضائيات الى مناقشته لترسيخ مفاهيم وقيم حضارية، ويشبه الأمر صراعاً قائماً بين مُسْتَهلك ومُستدام، لذا ناقشت قضايا عَدت استجابة للجمهور لإشباع حاجاته وانعكاساً للواقع.

ويتوجب على الإعلام العربي المحافظة على الشخصية والهوية العربية الاسلامية، ليس من منطلق التعصب لثقافتنا العربية الاسلامية أو الانعزال عن العالم، وإنما ثقافتنا هي المكون الأساس لشخصيتنا العربية الإسلامية التي ننطلق عن طريقها للتفاعل الثقافي مع الغير بروح "الندية" والمساواة وليس من واقع التقليد واستيراد ثقافة الاستهلاك.

ويتعين علينا العودة الى هذا الإرث الثقافي كما يجب علينا ونحن نؤكد خصوصياتنا الثقافية ان نتجنب الافراط حتى لا نثير لدى الآخرين الضغينة والافكار المسبقة التي لن يتردد هؤلاء في ربطها بالإسلام جهلا منهم بأن من صميم هذه الديانة مفاهيم السماحة، والتعقل، والانفتاح، والمروءة. كما يجب أن تبنى هذه الحضارة على تنوع القيم والطموحات المشروعة واحترام الهويات المختلفة، ولن يتحقق ذلك الا بدعم اعلامي فاعل.

ويواجه الشعب العربي تحديات على المستويات جميعها، لهذا فهو مطالب أكثر من أي وقت مضى بالشروع في إصلاحات حقيقية في المجال السياسي والفكري، واحترام الحريات، حتى لايتخلف عن ركب المتغيرات التي تتلاحق بتسارع مذهل وليتمكن المواطن في المنطقة العربية من الإندماج والمشاركة الفعالة في بناء عالم القرن الواحد والعشرين. ولن يتحقق الإصلاح إلا من الداخل وبإرادة ذاتية تتفاعل داخلها مجهودات الفاعلين كلهم بعيداً عن أية ضغوطات. ولن نمارس وجودنا الحضاري بفعالية إلا بمقدار ما نكون منتجين وخلاقين في هذا العالم على الأصعدة المختلفة(١٨).

ولقد حاول بعض الإعلاميين المسيحيين في نهاية عام١٩٩٩م الاحتفال بحلول الألفية الجديدة، إذ خططوا لإطلاق صاروخ في شكل كنيسة ليكون أول معلم ديني على سطح القمر، ومن حسن الحظ أن عدداً من العلماء والباحثين المسلمين المعنيين بشؤون الفضاء، عارضوا هذا المشروع ورأوا من الأنسب

الاتفاق المسبق بين المجموعات الدينية المختلفة على برنامج عالمي حول نقل التراث الإنساني من الأرض إلى الكواكب والأجرام السماوية التي وطأتها أو ستطؤها في المستقبل أقدام الإنسان، فهل استعد المسلمون لهذا المشروع الكوني العملاق؟. والجواب حتى اليوم هو النفي والإقرار أننا مررنا منذ اكثر من٣٠ سنة من قرن هجري إلى آخر دون أدنى مبادرة لتخليد هذا التاريخ أو أي توظيف إعلامي لتلك المناسبة الفريدة. فلم يكترث المؤرخون كثيراً بحلول سنة ١٤٠٠ بل اقتصر البعض من رجال الدين على مهاجمة من حاول تحديث الخطاب الإسلامي ولم يحاولوا تحسين صورة المسلمين وسمعتهم المتجذرة في الغرب، بمناسبة حلول القرن الهجري الخامس عشر، ولفت انتباه الرأي العام الغربي إلى أهمية هذه المحطة التاريخية(١٩).

وأيضاً يؤدي الإعلام دوراً في ترويج الفتوى وإيصالها إلى اكبر عدد ممكن من الجمهورعن طريق بعض الفضائيات التي أخذت على عاتقها نشر الأفكار الإرهابية والمتطرفة، وذلك بعرضها للأفلام الخاصة بقطع الرؤوس وعمليات القتل الجماعي كما تقوم بإجراء لقاءات بأشخاص يروجون لتلك الأفكار وقراءة البيانات والفتاوى الخاصة لتسويق تلك الأفكار، وإظهار هؤلاء بمظهر المجاهدين. وتمكنت بعض المرجعيات الدينية أن تكون صمام أمان للوضع عبر التقييم الموضوعي والتصرف بحكمة وحذر والتعامل وفق المصلحة العامة التي تحد من انتشار الفوضى وعدم إصدار أية فتوى أو بيان يؤدي إلى تأزم الوضع، بعد أن أيقنت أن الأمور تسير بشكل متصاعد ومتوتر، قد يؤدي إلى حرب طائفية أو اقتتال بين المسلمين وغيرهم، وذلك لإيمانهم بقدسية الدم وتحريم إراقته، لإعمال متطرفة وذلك بإفساد عقول الشباب(٢٠).

تكنولوجيا الاتصال الحديثة في خدمة الإسلام:ـ

الإعلام الجديد وتطبيقاته المستخدمة "اليوتيوب، التويتر، الفيس بوك، والماسنجر،..." فرضت نفسها خدمة للأفراد والمجتمعات في عصر ثورة المعلومات، واسهمت في إيجاد بعض الحلول، تطرح عن طريقها المعلومات والأخبار، والصور والتجارب، والمشاريع التربوية فردية أو جماعية، ومشاهد الفيديو، لكنها مشروطة بما لدى المستخدم من قيم ورقابة ذاتية، الجميع يتفاعل معها، يعرف العالم من خلالها، ونشر رسالة الإسلام باللغات كلها، والدعوة بطرح وسطي معتدل، وهي في الحقيقة إعلام فردي، متنفس لمن أراد أن يكتب.

وينتمي الإنترنت إلى ما يُعْرَفُ بوسائط الإنفوميديا "Info Media" أو النُّيوميديا "New Media"، والتي تنتمي بدورها حزمة تُعْرَفُ بوسائل القوَّة النَّاعمة أو الـ"Soft Power" التي كانت مُفتاح انتصار الولايات المتحدة والغرب على الاتِّحاد السُّوفيتيِّ السَّابق والكتلة الشَّرقيَّة خلال الحرب الباردة، حيث كانت الوسيلة الأساسيَّة للقفز على "السِّتار الحديديِّ" الذي أقامه ستالين حول الاتِّحاد السُّوفيتي والدِّول الشُّيوعيَّة، ونقل قِيَم الحياة الغربيَّة إلى شعوب هذه البلدان، حتى جاء التَّصدُّع من داخل هذه الدِّول، وليس من خارجها.

فلقد تحوَّلت هذه الوسائل من مجرَّد وسائل إعلام، إلى وسائطٍ لنقل المعرفة، ثُمَّ لم تلبث أنْ تحوَّلتْ إلى وسيلةٍ من وسائل التَّعارف الاجتماعيِّ، وتبادُل الآراء والأفكار، التي تجاوزت بدورها الحاجز الاجتماعيِّ وحواجز اللُّغة وصار الإعلام الجديد، ولاسيما شبكات التواصل الاجتماعي، أحد أهم وسائل صناعة الوعي، بمعناه الإيجابيِّ أو السَّلبيِّ، في زمننا المعاصر،

ولاسيما لدى الشَّباب الذي يُشكِّل النِّسبة الأكبر من جمهور مستخدمي الإنترنت ووسائل الإعلام الجديد.

كذلك كانت هذه الوسائط من أنجح الوسائل خلال الحملة ضد الدَّانمارك خلال أزمة الرُّسوم المُسيئة للرسول الكريم مُحمَّدٍ ﷺ وقد وصلت درجة فاعليَّة هذه الحملات أنْ تجاوبت معها دوائر في أوروبا والولايات المتحدة، بينما بلغت خسائر الدَّانمارك من جراء حملات المقاطعة التي شاركت فيها وسائل الإعلام الجديد، حوالي مليارَيْ دولار، وأجبرت حكومات بلدان أخرى غربيَّة على إلزام صحفها بعدم نشر هذه الرُّسوم. وانطلقت الكثير من الحملات الاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والدِّينيَّة النَّاجحة في العالم العربيِّ والإسلاميِّ من "فيس بوك" ويتم التَّرويج لها عن طريق وسائط الإعلام الجديد، مثل حملة "بالأخلاق نرتقي"، و"استرجل وقوم صلِّي الفجر"، كما تشكَّلتْ حملات أخرى على "يو. تيوب" و"فيس بوك" تدعو إلى قِيَم الإسلام الحقيقيَّة، مثل التَّسامح والإيجابيَّة والحوار ونبذ العنف واحترام الآخر.

بل إنَّ بعض الحملات الطَّريفة التي ظَهَرتْ في السَّنوات الأخيرة كان لها مردودٌ جيِّدٌ في بعض المجالات الشَّديدة الخصوصيَّة في المجتمعات العربيَّة والإسلاميَّة، مثل حملة مقاطعة اللُّحوم في مصر والتي أجبرت تُجَّار الجُملة والتَّجزئة على تخفيض الأسعار، بما يُوضِّح عمق تأثير هذه الوسائط على الحياة العامَّة والخاصَّة للمواطن في بلدان عالمنا العربيِّ والإسلاميِّ.

وفي حقيقة الأمر، وأيًّا ما كان الموقف من بعض التَّفاعُلات السِّياسيَّة والأفكار المعروضة حاليا على شبكات ووسائط الإعلام الجديد، باتت جزءا شديد الأهمِّيَّة من مجموعة أدوات اسهمت في تنمية وعي الشَّباب العربيِّ والمسلم، بجانب الفضائيَّات. كما أن جل البحوث كانت تنادي باستخدام قنوات الاتصال جميعها، باعتبار الدور الذي يمكن أن تلعبه في مجال نشر

المعلومات وإبراز الإنجازات الثقافية وتصحيح صورة المسلمين في أذهان الغربيين.

إنه من المحتم الاعتراف بتلك الفضاءات الجديدة التي أفرزتها منظومة العولمة، كما أنه لا مفر من الاعتراف بدور أجهزة الإعلام، في التغييرات التي طرأت على مظاهر السلوك الإنساني في هذا العصر الذي لم يعد فيه وجود لأي حواجز ثقافية أو فنية، اذ دخلت أجهزة الإعلام كل بيت وانتشرت القنوات الفضائية وأصبح الكمبيوتر الشخصي مرافقاً للإنسان في كل مكان، والخطاب الإعلامي الموجه للخارج ينبغي أن يراعي ثلاثة اعتبارات[٢١]:

- انخراط المسلمين في مجتمع المعلومات.
- الدور المتميز لوسائل الاتصال الفردية الحديثة.
- توظيف المناهج والآليات الإعلامية الجديدة التي أصبحت من مقومات العمل السياسي.

إن وسائل الاتصال الحديثة ستساعد من خلال البنية التحتية ومن خلال المضمون، على مجابهة المشاكل الجديدة مثل اتساع ظاهرة الإرهاب وانتشار المخدرات وتلوث الجو والبحار، وانصهار المصالح العليا للدولة في صلب المصلحة الكونية. إلا أن ما تتيحه الثورة الاتصالية من إمكانيات وما ينجز عنها في الوقت ذاته من تيارات تخترق الحواجز والمسافات، كل ذلك يستدعي اليقظة الكاملة والحذر. ذلك أن الشبكات التلفزيونية الفضائية ومواقع الإنترنيت ليست كلها مع الأسف، ملتزمة بالضوابط الأخلاقية، ففيها الإثارة، وفيها ما يدعو إلى خرق القوانين، وفيها ما يحث على الكراهية والعنف والإرهاب. إذ نجد بعضاً منها ذات نزعات إيديولوجية غارقة، أساسها التضليل وتزييف الحقائق. ولا تخفى التأثيرات لهذه الوسائل الجماهيرية في

عقول عامة الناس، ولاسيما الشباب، مما يدعو إلى ضرورة التصدي للأفكار المتطرفة.

ونستطيع عن طريق استخدام وسائل الاعلام التقليدية والجديدة تحقيق أهداف عدة[٢٢]:

- الدعوة إلى تمسك الأمة الإسلامية بثوابتها الدينية وبمنظومة القيم التي جاءت بها الشريعة الإسلامية السمحاء، وذلك مع مراعاة ثقافة المخاطب وكيفية توصيل الرسالة إليه.
- توظيف المناهج الإعلامية الحديثة في خدمة القضايا الإسلامية وإبراز معاني الرسالة المحمدية التي تؤكد على الحرية والسلام والعدالة والحوار، وتسعى للتفاهم بين الشعوب وتعميق العلاقات الودية القائمة على التعاون والمحبة بين البشر جميعاً.
- تنظيم الحملات الإعلامية المستندة إلى أسس علمية حديثة لصدّ محاولات الإساءة إلى الإسلام، وتفنيد الافتراءات على حقائقه التي تشنها جهات مناوئة، ودفع تهمة الإرهاب عن الإسلام والمسلمين.
- الاستفادة في الخطاب الإعلامي الحديث وتدعيمه بالآراء والأفكار الإصلاحية النيرة للعلماء المسلمين والأئمة الصالحين.
- الدعوة إلى إعداد مشروع رقمي متكامل يطلق عليه اسم "الحاسوب الإسلامي" لنشر القيم الإسلامية لدى الشباب في مختلف أنحاء العالم.
- المساعدة على ابتكار حاسوب للتعليم قابل للانتشار بأقل التكاليف مثل الحاسوب الأخضر.
- التخطيط لإطلاق صاروخ نحو القمر في شكل منارة بالتنسيق مع الأديان

السماوية الأخرى، لنؤكد في كل لحظة تعلق الإسلام بالسلام وتمسك المسلمين بالتعايش السلمي.

- تكوين لجنة رفيعة المستوى مؤلفة من علماء متخصصين في علوم الإعلام والاتصال والعلاقات العامة والشؤون الدينية، وتوكل إليها مهمة وضع استراتيجية متكاملة لحصر الأهداف ووضع الخطة وضبط المراحل التنفيذية وتحديد الشعار وضبط آليات التقييم.

إن الاستراتيجية الإعلامية أصبحت ضرورية أكثر من أي وقت مضى لمعالجة صورة الإسلام وسمعة المسلمين شرقاً وغرباً، ولابد من وضعها بكل مقوماتها موضع التنفيذ. لقد دفعنا الثمن غالياً لمحاولة فسخ آثار أحداث سبتمبر ٢٠٠١ دون نتائج تذكر. فهل نحن موافقون على دفع ثمن حاسوب إسلامي متميز مستند على منظومة إعلامية رقمية شاملة وبرمجيات تعريف من حين لآخر بالفضائل الإسلامية. وهل نحن مستعدون لإقامة مَعْلَم إسلامي متكامل مع الحضارات الأخرى فوق سطح القمر كمنارة لكل المهتدين ندعو منها للسلم والمحبة ونحث من خلالها على التآخي والتعايش بين كل الشعوب والأديان. وقد تساعدنا هذه المنارة بإشعاعها على توحيد الرؤية الشهرية والتقريب بين المسلمين وتكون رمزاً لتطلعهم للمعرفة والعدالة والعلم والحداثة.

الإسلام ودوره في تعزيز الحوار بين الحضارات:ـ

يقول القرضاوي: "إننا، نحن المسلمين، نؤمن بالحوار، لأننا مأمورون به شرعاً. وقرآننا مليء بالحوارات بين رسل الله وقومهم، بل بين الله تعالى وبعض عباده، حتى إنه سبحانه حاور شر خلقه: إبليس. ولهذا نحن نرحب بثقافة "الحوار" بدل ثقافة الصراع سواء بين الحضارات أم بين الديانات.

ولا نوافق على منطق بعض المثقفين الأمريكيين مثل "هانتنجتون" الذين يؤمنون بحتمية الصدام بين الحضارات، ولاسيما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية. فلماذا لا تتفاعل الحضارتان وتتكاملان، ويقتبس كل منهما من الآخر ما تفوق فيه؟ وماذا نريد نحن من الغرب؟ إننا نريد من الغرب أن يتحرر من عقدة الخوف من الإسلام، واعتباره الخطر القادم، "الخطر الأخضر" كما سماه بعضهم، وترشيحه ليكون العدو البديل بعد سقوط الاتحاد السوفيتي الذي سماه "ريغان" إمبراطورية الشر! كما نريد من الغرب أن يتحرر من عقدة الحقد القديمة الموروثة من الحروب التي سماها الغرب "صليبية" وسماها مؤرخونا "حروب الفرنجة". فنحن أبناء اليوم لا بقايا الأمس، ولسنا الذين بدأنا هذه الحروب، بل نحن الذين شنت عليهم".[٢٣]

ولكن لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. لا يلغي التسامح الفارق والاختلاف، ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية. إنّ الغرب يحاول السّيطرة على العالم بكلّ ما يملك من قوّة، وأمريكا تعمل على أمركة العالم اقتصاديّا تمهيدا للهيمنة عليه ثقافيّا، ومن ثمّ إلغاء الثّقافات الأخرى. فقد قال "روزفلت" في الأربعينيّات من القرن العشرين: "إنّ قدرنا هو أمركة العالم". وقال "نكسون": "يجب على أمريكا أن تقود العالم"، وقال "جورج بوش الأب" في أوائل التّسعينيّات: "إنّ القرن القادم ينبغي أن يكون أمريكيّا"[٢٤].

أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية مليئ بالمحطات التي تؤكد أن ما تعمل له، وتسعى من أجله هو تأمين مصالحها، وهي أن تكون الولايات المتحدة

الأمريكية المركز الكوني ليس للولايات المتحدة الأمريكية وأوربا فحسب، وإنما لكل ما هو موجود على الأرض بل ما يمكن أن يكون في المستقبل، وهذه النزعة المركزية ناتجة من طبيعة الولايات المتحدة التي قامت على أساس الإرهاب وإزاحة شعب برمته. ومن هنا يظهر ان "حوار الأديان" بقى بعد إشكالي، إذ يُعدّ من أكثر الموضوعات المثيرة للجدل، ويظهر ذلك في الانقسام الحاد من الموقف تجاه حدوث هذا "الحوار" والذي يتمايز بين اتجاهين متناقضين مؤيد أو معارض، وداعٍ إليه أو متشكك فيه، بل ويمتد الانقسام والتباين إلى داخل كل اتجاه بعينه فتتباين الآراء وتتعدد أيضاً الأهداف والقضايا والخطابات المستخدمة بالفعل ساحة "حوار الأديان" في مفارقة غريبة تجعلنا إزاء حوارات أديان وليس حوارا واحدا، لاسيما بعد الحرب على الارهاب حدثت كرد فعل عن أحداث ١١ أيلول التي فرضت نفسها على مستقبل حوار الحضارات ومستقبل العلاقات الدولية في ظل التعبئة النفسية والإعلامية التي قادتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد العرب والمسلمين.

إن أعمق حوار بين الحضارات هو حوار الأديان أي الحوار الذي تتعرف فيه الذات إلى نفسها دائماً وترى بوجودها وجود للآخر، فحوار الحضارات مقولة كونية تستدعي النظر بمنظور كوني لواقع العالم واستحضار الكون بأسره لا الانزواء داخل ذاتيات متضخمة تحجب التعرف إلى خارطة العالم البشرية وتعيق فهم الذات على حقيقتها، فالحداثة الغربية بتمركزها الغربي، قامت على العقل والثروة والقوة بالمقابل استعبدت امتدادات الجمال والروح داخل الإنسان فسطحته وحولته إلى شيء يستهلك.

إذن هناك حتمية للاتصال والتفاعل بين الحضارات والثقافات المختلفة على اعتبار أن التبادل الحضاري ظاهرة إنسانية متأصلة في التاريخ الإنساني، ومن هنا ضرورة إرساء تواصل حي ودائم ومثمر بين الخصوصيات الثقافية المختلفة

حتى يصبح العالم موطنا رحبا للجميع. ولا تعني حتمية الاتصال انمحاء الخصوصيات الثقافية وذوبانها للتوحد في حضارة عالمية واحدة، لذلك لابد من ترك مساحة للخصوصيات الثقافية لمختلف الشعوب قصد بناء حضارة إنسانية مشتركة.

جدلية العالمية والخصوصية أمر حيوي في الوضع الراهن، فالعالمية الحقيقية لا يمكن أن تكون إلا في ظل احترام التنوع الثقافي للشعوب، كما أن الخصوصيات الثقافية لا يمكن أن تثمر إلا في ظل الإيمان بوجود مبادئ إنسانية مشتركة. لهذا علينا أن نعطي الأولوية لما هو مشترك لنشكل هوية مشتركة في ظل احترام التنوع.

نحو أخلاقية عالمية لحوار الثقافات:ـ

ثمة مجموعة قيم إنسانية أساسية مشتركة بين الفضاءات الثقافية والدينية كلها في العالم، وينبغي استثمارها والتركيز عليها لتكريس وحدة الإنسانية. إن قيما مثل: العدالة، رفض العنف، رفض الظلم، الإيثار، المساواة، التسامح، المحبة... وأحاسيس مثل السعادة، المعاناة، الألم، الإحباط، الغبن، الرأفة، الرحمة هي جزء من إنسانية كل إنسان. ولذلك فالجوهر الإنساني حاضر في كل التقاليد الثقافية والدينية لكل الشعوب عبر التاريخ الطويل للإنسانية. وبالتالي لا يمكن للإنسانية العيش والبقاء بدون أخلاقية عالمية تكرس التسامح ونبذ الإرهاب والتطرف بأشكاله. ونحن في أمس الحاجة اليوم إلى إيكولوجيا ثقافية لتحويل ثقافاتنا وأديانا إلى ركائز للتنمية والتضامن والمسؤولية الجماعية لبناء أفق مشترك للإنسانية جمعاء. إن تحول وسائط الاتصال من التناظري إلى الرقمي ومن الهرمي إلى الشبكي أحدث بيئة جديدة في تبادل الأخبار والآراء يمكن أن نصطلح على تسميتها الإيكوميديا أو البيئة الجديدة للإعلام والاتصال.

فمن صحافة الصحفي إلى صحافة الدولة مرورا بصحافة الجمهور وصولا إلى صحافة المواطن أصبح الحديث المستجد منذ بداية العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين هو صحافة شبكات التواصل الاجتماعي. لإحراج كبرى التلفزيونات والإذاعات والصحف والمجلات ذات التاريخ العريق فأنه علينا لزاما ولضرورات التوازن البيئي بكل تلك الصفحات على موقع الفيسبوك وكل تلك الفيديوهات عل موقع اليوتوب. ونستحضر هنا مثال من الطبيعة: "لإزعاج فيل واحد على كل نمل الأرض أن يتحد". وترجمتها الإعلامية هي لإحراج تلفزيون مثل الجزيرة أو السي - أن - أن على آلاف صفحات الفيسبوك وفيديوهات اليوتوب أن تتحد أيضا في حركة نشر افتراضي غير مسبوق لنشر ثقافة سلام عالمية(٢٥).

وتثير البيئة الجديدة للإعلام ضرورة البحث في توازن بيئة المجال الإعلامي، ويكون ذلك من خلال البحث في العلاقة الجديدة بين حرية التعبير والتنوع في بيئة الإعلام. وهنا علينا أن نتساءل كيف يمكن المحافظة على حرية التعبير وكيف يمكن ضمان التنوع البيئي الإعلامي وسوق الإعلام تتحكم فيه عشرات الشركات الإعلامية الغربية العابرة للقارات.

إن الأمر أصبح يتطلب إرساء براديغم جديد للتراضي والتوافق بين الهويات الحضارية المختلفة وإنشاء سوسيولوجيا لتفعيل التواصل الإنساني عبر الفضاءات الإعلامية المختلفة، السياسية، الاقتصادية. وقد سبق للفيلسوف الفرنسي روجي غارودي أن دافع في أواخر السبعينات عن ضرورة قيام حوار بين الحضارات لتحقيق السلام العالمي. وقد اعتبر أن " فكرة حوار الحضارات تحارب التقوقع حول الأنا الضيقة وتركز اهتمامها على الحقيقة الفعلية للأنا، بعدّها قبل كل شيء علاقة مع الآخر وعلاقة مع الكل". كما أكد المفكر المغربي المهدي المنجرة على أن رهان التنوع الثقافي هو مفتاح البقاء

مستقبلاً[٢٦].

ويبدو أن إرساء حوار حقيقي بين الأفراد، الشعوب والحضارات وبين الشمال والجنوب يفترض الإيمان بمجموعة مبادئ أساس[٢٧]:

١- **التواضع:** إن التكبر واعتقاد امتلاك الحقيقة المطلقة وتمثيل الخير المطلق لا يسهم في تشجيع الحوار بل يؤجج الحقد والعداء، وينبغي أن يتعلم الأفراد والشعوب قيم التواضع والتسامح واللجوء للحلول السياسية للتمكن من التواصل والتفاهم والتعايش.

٢- **الرأفة:** أي الإحساس بآلام ومآسي الآخرين والتعاطف معها، والدين الإسلامي يؤكد على قاعدة " أحب لغيرك ما تحب لنفسك"، قال الرسول ﷺ (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه). كما أن الدين المسيحي يدعو إلى مبدأ: "أحب لمن سيأتي بعدك ما تحب لنفسك".

٣- **الرضى والحب:** قبل كل شيء على الأفراد أن يتمكنوا من الرضى عن أنفسهم وحب ذواتهم قبل أن يحبوا الآخرين، لذلك ينبغي تنمية مؤهلاتنا بالقدرة على الحب: حب الحياة، حب الغير، حب العمل، حب الخير، حب الحقيقة والمعرفة وحب الإنسانية.

٤- **التعايش والتسامح:** واقع العولمة وتزايد الاحتكاكات والتفاعلات الثقافية بين الأفراد والشعوب بفعل ثورة الاتصالات وتزايد حركات الهجرة خلق ديناميات اجتماعية دولية جديدة أساسها تراجع الأحادية الثقافية لصالح تصاعد واقع التنوع الاجتماعي والتعدد الثقافي.

٥- **الحوار الداخلي:** إن الحوار لا ينبغي أن يكون ترفا زائدا مخصصا للمنتديات والمؤتمرات، فعليه أن يتحول إلى حاجة أساسية لا تهم فقط

العلاقات بين الحضارات والشعوب والدول بل تشمل المجتمعات من داخلها، فمن العبث التفكير في حوار الثقافات إذا لم يكن هناك حوار داخل الثقافات والديانات والمجتمعات.

٦- **الإيمان بقوة السلم:** على الإنسان الإيمان بقدرته على إدارة الصراعات وتحقيق السلم، والتحرر من النظرة التشاؤمية التي ترى في الصراع حتمية تاريخية تحكم الإنسان منذ القدم.

٧- **البحث عن الحقيقة:** السعي لمعرفة الحقيقة شرط أساس للحوار، فالحوار هو اكتشاف الغير واحترامه كما هو وكما يريد أن يكون، ومعرفة الاختلافات والقيم المشتركة للتمكن من التبادل والتفاهم.

٨- **المسؤولية:** مسؤولية الأفراد إزاء أنفسهم، إزاء الغير، مسؤولية المجتمع إزاء محيطه الاجتماعي والبيئي ومسؤولية الإنسانية إزاء مصير العالم، ومستقبل الإنسانية. ولهذا فإن أي حوار حقيقي بين الثقافات ينبغي أن يجعل غايته مستقبل الإنسانية وضمان حقوق الأجيال المقبلة في السلام والعيش الكريم.

٩- **القيم المشتركة:** ثمة مجموعة قيم إنسانية أساس مشتركة بين الفضاءات الثقافية والدينية في العالم، إن قيما مثل: العدالة، رفض العنف، رفض الظلم، الإيثار، المساواة، التعاون، المحبة... وأحاسيس مثل المعاناة، الألم، الإحباط، الغبن، الرأفة، الرحمة هي جزء من إنسانية كل إنسان. ولذلك فالجوهر الإنساني حاضر في كل التقاليد الثقافية والدينية لكل الشعوب عبر التاريخ الطويل للإنسانية.

١٠- إرساء أخلاقية كونية تسعى لخدمة الإنسان والإنسانية بروح مسؤولة متفتحة على العالم وتعقده. وترتكز هذه الأخلاقية العالمية على

ثلاثة أسس[٢٨]:

- لا يمكن للإنسانية العيش والبقاء بدون أخلاقية عالمية.
- لن يكون هناك سلام عالمي بدون سلام بين الأديان.
- لن يكون هناك سلام بين الأديان بدون حوار بينها.

ونظرا للأهمية المركزية لثقافة السلام في ترسيخ السلام والتسامح في كل بقاع العالم، فقد أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ٢٠٠٠م سنة دولية لثقافة السلام واللاعنف. وقام مجموعة من الشخصيات الحائزةعلى جائزة نوبل للسلام بمناسبة إحياء الذكرى الخمسين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان بصياغة بيان ٢٠٠٠ لثقافة السلام والذي يؤكد على[٢٩]:

"... لأني واع بالمسؤولية إزاء مستقبل الإنسانية وخصوصا أطفال اليوم والغد، ألتزم في حياتي اليومية، أسرتي، عملي، جماعتي، بلدي بأن:

- احترم الحياة: احترام حياة وكرامة كل كائن إنساني بدون تمييز أو حكم مسبق.
- أرفض العنف: بأشكاله: الجسدي، النفسي، الاقتصادي والاجتماعي، لاسيما اتجاه الأفراد الأكثر فقرا وضعفا كالأطفال والمراهقين.
- أتعامل بكرم: أقسم وقتي ومواردي المادية بسخاء للقضاء على التهميش، الظلم، والقمع السياسي والاقتصادي.
- أنصت من أجل التفاهم: أدافع عن حرية التعبير والتنوع الثقافي عبر تشجيع الإنصات والحوار بدون الاستسلام للتعصب والنميمة ولإقصاء الآخر.
- أحافظ على كوكب الأرض: أدعم استهلاكا مسؤولا ونمطا تنمويا

يأخذان بعين الاعتبار أهمية كل أشكال الحياة ويحفظان توازن الموارد الطبيعية لكوكبنا الأرض.

- اكتشف من جديد قيمة التضامن: أسهم في تنمية جماعية بالمشاركة الكاملة للنساء وفي إطار احترام مبادئ الديموقراطية.

ويجب الاعتراف بقصور في الخطاب الإعلامي الإسلامي الموجه للغرب مما يتطلب ضرورة انفتاح العالم الإسلامي على العالم العربي وعلى حقائق العصر مع الحفاظ على ثوابت الأمة وتقاليدها وأن يُشكل المسلمون في الغرب قوة ضاغطة ترفع صوتها مدافعة عن دينها وصورتها وهويتها. والآن أصبح إنشاء قنوات إسلامية فضائية تخاطب الغرب بلغته وتعطي صورة شاملة عن الثقافة الإسلامية وتسهم في تصحيح صورة العرب والمسلمين أمراً ملحاً لا يحتاج إلى تأجيل، فنحن لدينا الكثير من القنوات الفضائية العربية والإسلامية ولكنها لا تخاطب الرأي العام العالمي بلغة يفهمها، ومن ثم فلابد من إنتاج برامج تخاطب الغرب باللغات الأجنبية، ولابد من امتلاك وسائل القوة وتوفر الإرادة والعمل المتواصل والاتفاق على خطة شاملة إذا أردنا تصحيح صورتنا لدى الغرب.

وبالنسبة للعالم العربي الاسلامي الذي كان ولازال يشكو منذ مدة طويلة من تحيز الإعلام الغربي ضده ومن عدم قدرته على إيصال صورته الحقيقية إلى تلك المجتمعات الغربية فإنه لم يعد أمامه أي عذر يمكن ترديده، فشبكات الإنترنت والاقمار الصناعية فتحت المجال أمام الجميع لوضع مايريدونه على الشبكة ليكون متاحاً أمام العالم لرؤيته. المهم أن يكون هناك استعداد حقيقي للإستثمار في هذه الوسائل والأهم من ذلك استثمارها بالشكل السليم والمناسب.

وتوصلت الباحثة الى نتائج عدة:

١- إن التفاعل والتواصل بين الثقافات ظاهرة إنسانية، والعولمة بقدر ما اسهمت في التقارب بين الشعوب وانفتاح وتفاعل الثقافات على بعضها البعض، بقدر ما أدت إلى بروز النرجسية الحضارية والتعصب الديني والانغلاق على الذات.

٢- يجب إن تعمل وسائل الاتصال بلا قيود ذات المضمون الجدلي والخلافي، وتتبنى الإبداع بطريقة القفز فوق حواجز النجمة السداسية، والصليب، والهلال.

٣- حاول بعض الإعلاميين المسيحيين في نهاية عام١٩٩٩م الاحتفال بحلول الألفية الجديدة، إذ خططوا لإطلاق صاروخ في شكل كنيسة ليكون أول معلم ديني على سطح القمر.

٤- مررنا منذ اكثر من٣٠ سنة من قرن هجري إلى آخر دون أدنى مبادرة لتخليد هذا التاريخ أو أي توظيف إعلامي لتلك المناسبة الفريد.

٥- إن تاريخ تغطية أحداث العالم الثالث في وسائل الإعلام الغربية والعكس، يوضحان بما لا يدع مجالاً للشك أن إعطاء اهتمام زائد للفوارق بين الثقافات، بدلاً من التركيز على ما هو مشترك بينها.

٦- دور الإعلام هو الأنماط الثقافية، أو برامج العمل، أو أطر السلوك التي يعرف الفرد عن طريقها صورته في أعين الآخرين، والكيفية التي يجب أن يتعامل بها معهم، وايضاً الافكار المشتركة والموروثة والتي ترشد وتوجه السلوك ولكنها لاتحتمه.

٧- يستدعي الحوار الحضاري من المتحاورين انفتاحاً على التطور الثقافي في العالم، والتفاعل معه دون خضوع أو تبعية له.

٨- يشكل الدين القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم والعلامة الفارقة للتمييز بين الحضارات، فيمكن للشخص إن يكون نصف عربي ونصف فرنسي، ولكن من الصعب إن يكون نصف مسلم ونصف كاثوليكي.

٩- تشير معظم القنوات والمواقع الدينية أنهّا تبتعد عن المواضيع المثيرة للجدل التي تبرز الفوارق بين المسيحية والإسلام ومذاهب الإسلام نفسه. إلا أنّ التعمق في مضامينها يظهر انقسامات عميقة، ومنشغلة من ناحية ثانية بالفتاوي على الهواء.

١٠- القنوات بثت بدافع الخوف من الذوبان، والحرص الشديد للحفاظ على الخصوصية، فراحت كلّ محطة تتوجه إلى ناسها، وتكلّم نفسها وتخشى من الكلام مع الآخرين.

١١- شهد الإعلام العربي نمواً وليس تنمية

١٢- يمكن تحديد الإعلام الاجتماعي كنسق فكري وعملي يبحث عن الرقي بالإنسان "فرداً أو مجموعة" كفاعل أو كموضوع للاتصال، ويهدف إلى وضع الأفراد والمجموعات الاجتماعية في علاقات بعضهم مع البعض الآخر، ومن منظور الاستقلالية والمسؤولية.

١٣- توظيف المناهج الإعلامية الحديثة في خدمة القضايا الإسلامية وإبراز معاني الرسالة المحمدية التي تؤكد على الحرية والسلام والعدالة والحوار.

١٤- تنظيم الحملات الإعلامية المستندة إلى أسس علمية حديثة لصدّ محاولات الإساءة إلى الإسلام.

١٥- الدعوة إلى إعداد مشروع رقمي متكامل يطلق عليه اسم "الحاسوب

الإسلامي" لنشر القيم الإسلامية لدى الشباب في مختلف أنحاء العالم.

١٦- التخطيط لإطلاق صاروخ نحو القمر في شكل منارة بالتنسيق مع الأديان السماوية الأخرى، لنؤكد في كل لحظة تعلق الإسلام بالسلام وتمسك المسلمين بالتعايش السلمي.

١٧- تكوين لجنة رفيعة المستوى مؤلفة من علماء متخصصين في علوم الإعلام والاتصال والعلاقات العامة والشؤون الدينية، وتوكل إليها مهمة وضع استراتيجية متكاملة لحصر الأهداف ووضع الخطة وضبط المراحل التنفيذية وتحديد الشعار وضبط آليات التقييم.

١٨- ثمة مجموعة قيم إنسانية أساسية مشتركة بين الفضاءات الثقافية والدينية كلها في العالم، وينبغي استثمارها والتركيز عليها لتكريس وحدة الإنسانية.

١٩- يجب الاعتراف بقصور في الخطاب الإعلامي الإسلامي الموجه للغرب مما يتطلب ضرورة انفتاح العالم الإسلامي على العالم العربي وعلى حقائق العصر مع الحفاظ على ثوابت الأمة.

٢٠- يجب إنشاء قنوات إسلامية فضائية ومواقع على الانترنت تخاطب الغرب بلغته وتعطي صورة شاملة عن الثقافة الإسلامية وتسهم في تصحيح صورة العرب والمسلمين أمراً ملحاً لا يحتاج إلى تأجيل.

المستخلص:ـ

"هل من الممكن قيام حوار معقول، ومنطقي، وبنّاء بين العرب والغرب؟ اعتقد أن ذلك ممكن... على العرب أن يقرّوا بأن الغربيين ليسوا كفاراً أو انهم أعداء لهم، وأنهم أناس محترمون، يخافون الله وصادقون مخلصون... وعلى

الغربيين أن يفكروا عن العرب انهم أناس يمتلكون قيماً هامة ويسعون إلى تحقيق أهداف سياسية ذات شأن"*

لقد أوضحت الرسوم الكاريكاتورية عن النبي محمد ﷺ وما أثارته من ردود فعل اتسمت بالعنف في بعض الدول، أن الفجوة بين الحضارات كبيرة، وتضع القرية الصغيرة التي حققها التطور الإعلامي العالم أمام تحديات جديدة في القرن الحادي والعشرين. بدأت قصة الرسام الدانماركي عن جهل، لأنه أضحى أمراً معتاداً أن ينتقد المسيح والله في الصحف الغربية، دون عدّها إهانة، والجهل بثقافة الآخر هو ما دفعه لنشر الصور بحسن نية لمعرفة مشاعر الناس، على الأقل في الموضوع الديني. وأدت الفضائيات دوراً فاعلاً في أزمة الرسوم الكاريكاتورية سواء في هذا الاتجاه أو ذاك. ويفترض ان تساعد وسائل الإعلام على تحقيق مزيد من التفاهم بين الشعوب، لا ان تعمل على اتساع الهوة، ويدعو الأمر للتساؤل، لولا وسائل الإعلام، هل ستصبح ردة الفعل على الكاريكاتير الدنماركي نفسها؟ بمعنى هل كان لتلك السرعة في التعرف على الأحداث دورها في الصدام الأسرع بين الحضارات؟.

إن التفاعل والتواصل بين الثقافات ظاهرة إنسانية، والعولمة بقدر ما اسهمت في التقارب بين الشعوب وانفتاح وتفاعل الثقافات على بعضها البعض، بقدر ما أدت إلى بروز النرجسية الحضارية والتعصب الديني والانغلاق على الذات.

ولهذا يجب إن تعمل وسائل الاتصال بلا قيود ذات المضمون الجدلي والخلافي، وتتبنى الإبداع بطريقة القفز فوق حواجز النجمة السداسية، والصليب، والهلال، إذ يشكل التفاهم ما بين الأديان مدخلاً لوضع أسس شراكاتٍ إبداعية وقيمة تنعكس إيجاباً على المجتمع ويبدو أن تجاوز المسافة بين خطاب حوار الثقافات والأديان وبين الواقع المؤلم المكرس للعنف والتطرف

والأحقاد وانسداد الآفاق، هي إحدى أهم الانشغالات المطروحة للنقاش، وعلينا أن نبدأ بترسيخ قيم الحوار والتسامح الديني والثقافي داخل التقاليد الثقافية والدينية المختلفة وداخل الأنظمة التربوية المختلفة، ليتحول إلى سلوك فردي وجماعي داخل الأسرة، بين الأفراد، بين الجماعات وبين الأمم والشعوب. والحوار الثقافي والديني عملية ذات أبعاد عدة، يتطلب المثابرة والنفس الطويل. وينبغي اليوم تطوير بيداغوجية* جديدة ترسي لثقافة السلام وبشكل يؤدي إلى الحد من نزعات التطرف والعنف. هذا ما يفرض التفكير بحس نقدي في آليات تشكيل صورة الآخر وفي التصور الذي يدفع إلى اعتبار أن الأشرار دائما هم الآخرون الذين لا يتقاسمون معنا الانتماء وتحميلهم مسؤولية أفعال وأعمال مشينة يرتكبها أفراد ومجموعات ينتمون إليها.

وأمام الصعود القوي لدعاة التطرف الديني والفكري، ألا يجب البحث عن إستراتيجيات اعلامية جديدة لتحويل دياناتنا وثقافاتنا إلى منابع للحب، والتضامن والحوار البناء بين الشعوب؟ ما هي السبل لتحقيق تواصل حقيقي بين والثقافات للقضاء على التطرف والعنف الفكري بأشكاله المختلفة؟ ومع تزايد التحديات العالمية عند بداية القرن الحادي والعشرين ألسنا في حاجة إلى أخلاقية كونية تشترك فيها الأديان والثقافات والشعوب كلها؟.

هوامش البحث

(١) من موقع دويتشه فيلا،((وسائل الإعلام الحديثة: وسيلة تفاهم أم عقبة إمام حوار جاد))، الاثنين ٢٠٠٩/٥/٤م. http://www.dw-world.de/dw/

(٢) د. نادية محمود مصطفى، "مفهوم ثقافة السلام طرح حضاري تواصلي"، منتدى تمكين المرأة. http://www.onislam.net/arabic/madarik/concepts/115154-2010-09-29-000000.html

(٣) جون سكوت وآخرون، "علم الاجتماع المفاهيم الأساسية"، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٨٢.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص١٩٤ص١٩٥.

(٥) محمد مسعد ياقوت، "حوار الحضارات وخناجر في جسد الاسلام"، كاتب وداعية إسلامي مصري. www.nabialrahma.com

(٦) د.مصطفى المصمودي،((دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" بحاسوبٍ على الأرض ومنارةٍ فوق القمر))، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

(٧) علي حسن الخربوطي، "المستشرقون والتاريخ الإسلامي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٠٩، ص١١٠.

(٨) عصمت عبد المجيد، "مواقف وتحديات في العالم العربي"، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣١.

* ظهرت العديد من التيارات الفكرية التي تدعو لليبرالية إسلامية غالبًا ما تدعو للتحرر من سلطة علماء الدين والفصل بين آراء علماء الدين الإسلامي وبين الإسلام ذاته، ويميلون لإعادة تفسير النصوص الدينية وعدم الأخذ بتفسيرات رجال الدين القدامى القرآن والسنة، حيث يرون أن الإسلام بعد *تنقيته* من هذه الآراء والتفسيرات فإنه يحقق الحرية للأفراد خاصة فيما يتعلق بحرية الرأي والتعبير وحرية الاعتقاد. لكن يرد عليهم العلماء المعادين لليبرالية بأن الليبرالية نشأت في مجتمعه مقهور من قبل الكنيسة. وهي نتاج بشري لا يمكن مقارنته بما جاء من عند الله, حيث ان الاسلام جاء شاملا و يتمثل ذلك في القران الكريم الذى ما هو الا حياة تمثلت في سيدنا محمد ص.ع.س و لا يحتاج الى تعديل في افكاره بل يحتاج في تعديل افكار متبنيه.

(٩) http://www.husseinalsader.org/inp/view.asp?ID=3909

(١٠) د. محمد سعدي، "مستقبل العلاقات الدولية/ من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص١٧.

(١١) http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/documents-data/speeches/82791-2006-09-

* "القمة العالمية للإبداع والمشاريع المميزة": هي مبادرة غير ربحية تتوخى نسج الأفكار المميزة لعدد من ابرز الشخصيات العالمية بهدف استخدام الإبداع كحافز للمنافسة والسلام.

(١٢) مؤتمر القمة العالمية للإبداع والمشاريع المتميزة، دبي، الخميس٢٠٠٨/٤/٣م. http://www.ameinfo.com/lega

(١٣) د. نهوند القادري، "قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص١٣١.

(١٤) د. نهوند القادري، "مصدر سبق ذكره"، ص٢٣١.

(١٥) المصدر السابق نفسه، ص٢٣٢ص٢٣٣.

(١٦) المصدر السابق نفسه، ص٢٣٢ص٢٣٣.

(١٧) Herve Collet, Communiquer pourquoi, comment: Le Guide de la communication sociale (Paris Cridec, 2004), p.139. نقلا عن: المصدر السابق نفسه، ص٢٣٤.

(١٨) د.محمد سعدي، ((مصدر سبق ذكره))، ص٣٩.

(١٩) د.مصطفى المصمودي،((دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا"، مصدر سبق ذكره)).

(٢٠) حبيب النايف،((الفتاوي والتطرف الديني))، الحوار المتمدن، ع٢٦٩١، ٢٠٠٩/٦/٢٨م.
نقلاًعن: http://www.ahewar.org/debattshow.art

(٢١) د.مصطفى المصمودي،((دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا"، مصدر سبق ذكره)).

(٢٢) د.مصطفى المصمودي،((دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا"، مصدر سبق ذكره)).

(٢٣) يوسف القرضاوي، "الحوار بين الإسلام والنصرانية"، موقع إسلام أون لاين، ركن الإسلام وقضايا العصر، بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٣.

(٢٤) محمد مسعد ياقوت، "حوار الحضارات وخناجر في جسد الاسلام"، مصدر سبق ذكره.

(٢٥) د. جمال الزرن، "البيئة الجديدة للاتصال أو الإيكوميديا من خلال "صحافة المواطن"، مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد، ع ١٧، ص١٩، ٢٠١٢م.

(٢٦) أنظر:

- Elmandjara (Mahdi), "Diversité culturelle: une question de survie. », Futuribles, n° 202, Octobre 1995, pp. 5-15.

(٢٧) د. محمد سعدي، "مصدر سبق ذكره، ص٣٥٦ص٣٥٧.

(٢٨) د. محمد سعدي، "مصدر سبق ذكره، ص٣٥٩.

(٢٩) المصدر السابق نفسه، ص٣٦١.

* حسين الشبكشي، محرر في جريدة عرب نيوز. نقلاً عن: ليزا شنيلنَغر ومُهنّد الخطيب، "حرب الكلمات: كيف يمكن للصحفيين العرب والأميركيين التفاهم لتحقيق تغطية اعلامية افضل"، المركز الدولي للصحفيين، واشنطن، ٢٠٠٦م، ص٣٥.

* طرق تعليم وتثقيف جديدة.

قائمة المصادر والمراجع

١- ليزا شنيلنّغر ومُهنّد الخطيب، "حرب الكلمات: كيف يمكن للصحفيين العرب والأميركيين التفاهم لتحقيق تغطية اعلامية افضل"، المركز الدولي للصحفيين، واشنطن، ٢٠٠٦م.

٢- موقع دويتشه فيلا،((وسائل الإعلام الحديثة: وسيلة تفاهم أم عقبة إمام حوار جاد))، الاثنين ٢٠٠٩/٥/٤م. http://www.dw-world.de/dw/

٣- د. نادية محمود مصطفى، "مفهوم ثقافة السلام طرح حضاري تواصلي"، منتدى تمكين المرأة.
http://www.onislam.net/arabic/madarik/concepts/115154-2010-09-29-000000.html

٤- جون سكوت وآخرون، "علم الاجتماع المفاهيم الأساسية"، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ٢٠٠٩م.

٥- محمد مسعد ياقوت، "حوار الحضارات وخناجر في جسد الاسلام"، كاتب وداعية إسلامي مصري. www.nabialrahma.com

٦- د.مصطفى المصمودي، ((دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام "الإسلاموفوبيا" بحاسوبٍ على الأرض ومنارةٍ فوق القمر))، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٧- علي حسن الخربوطي، "المستشرقون والتاريخ الإسلامي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

٨- عصمت عبد المجيد، "مواقف وتحديات في العالم العربي"، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٩- د. محمد سعدي، "مستقبل العلاقات الدولية/ من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة وثقافة السلام"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

١٠- مؤتمر القمة العالمية للإبداع والمشاريع المتميزة، دبي، الخميس٢٠٠٨/٤/٣م.
http://www.ameinfo.com/lega

١١- د. نهوند القادري، "قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.

١٢- يوسف القرضاوي، "الحوار بين الإسلام والنصرانية"، موقع إسلام أون لاين، ركن الإسلام وقضايا العصر، بتاريخ ١٣\٨\٢٠٠٥.

١٣- د. جمال الزرن، "البيئة الجديدة للاتصال أو الإيكوميديا من خلال "صحافة المواطن"، مجلة الباحث الإعلامي، كلية الإعلام، جامعة بغداد، ع١٧، ٢٠١٢م.